عليهم برغيف رغيف فاعطوه رغيفا ففقده صاحبه الذي كان يعطاه فلما علم بذلك اعطاه الرغيف واصبح ميتا
فوزنت سبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت الليالي ووزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف وروى ابن المبارك
باسناده في كتاب البر والصلة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عبد الله رجل سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فا
حبط الله عمله ثم اصابته زمانة واقعد فرأى رجلا يتصدق على مساكين فجاء اليه فاخذ منه رغيفا فتصدق به على مسكين
فغفر الله له ورد عليه عمل سبعين سنة وهذه كلها لا دلالة فيها على تكفير الكبائر بمجرد العمل لان كل من ذكر فيها كان
نادما تائبا من ذنبه وانما كان سؤاله عن عمل صالح يتقرب به الى الله بعد التوبة حتى يمحو به اثر الذنب بالكلية فان الله
شرط في قبول التوبة ومغفرة الذنوب بها العمل الصالح كقوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله اني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا وقوله فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وفي هذا متعلق لمن يقول ان التائب
بعد التوبة في المشيئة وكان هذا حال كثير من الخائفين من السلف فقال بعضهم لرجل هل اذنبت ذنبا قال نعم قال فعلمت
ان الله كتبه عليك قال نعم قال فاعمل حتى تعلم ان الله قد محاه ومنه قول ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف
ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب طار على انفه فقال به هكذا خرجه البخاري وكانوا يتهمون اعمالهم وتوباتهم
ويخافون ان لا يكون قد قبل منهم ذلك فكان ذلك يوجب لهم شدة الخوف وكثرة الاجتهاد في الاعمال الصالحة قال الحسن ادركت
اقواما لو انفق احدهم ملء الارض ما امن لعظم الذنب في نفسه وقال ابن عون لا تثق بكثرة العمل فانك لا تدري ايقبل منك
ام لا ولا تأمن ذنوبك فانك لا تدري كفرت عنك ام لا ان عملك مغيب عنك كله والاظهر والله اعلم في هذه المسألة اعني مسألة
تكفير الكبائر بالاعمال انه ان اريد ان الكبائر تمحى بمجرد الاتيان بالفرائض وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تكفر الصغائر
باجتناب الكبائر فهذا باطل وان اريد انه قد يوازن يوم القيمة بين بعض الاعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط
العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع وقد تقدم عن ابن عمر انه لما اعتق مملوكه الذي ضربه قال ليس لي فيه من الاجر شيء حيث كان
كفارة لذنبه ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الاعمال مكفرا للكبائر وسبق ايضا قول من قال من السلف ان السيئة
تمحى ويسقط نظيرها حسنة من الحسنات التي هي ثواب العمل فاذا كان هذا في الصغائر فكيف بالكبائر فان بعض الكبائر
قد يحبط بعض الاعمال المنافية لها كما يبطل المن والاذى الصدقة ويبطل المعاملة بالربا الجهاد كما قالت عائشة رضي الله عنها وقال حذيفة
قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة وروي عنه مرفوعا خرجه البزار وكما يبطل ترك صلاة العصر العمل فلا يستنكر ان يبطل ثواب
العمل الذي يكفر الكبائر وقد خرج البزار في مسنده والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيمة فيقص او فيقتص بعضها من بعض فان بقيت له حسنة وسع له بها في الجنة وخرج
ابن ابي حاتم من حديث ابن لهيعة قال حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال كان المسلمون يرون انهم لا يوجرون على الشيء القليل اذا اعطوه فيجيء المسكين
فيستقلون ان يعطوه تمرة وكسرة وجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء انما نوجر على ما نعطي ونحن
نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار
على الكبائر فرغبهم الله في القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك ان يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكثر فنزلت
ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يعني اصغر النمل خيرا يره يعني في كتابه ويسره ذلك قال
يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيمة ضاعف الله حسنات المؤمنين ايضا
بكل واحدة عشرا فيمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة وظاهر هذا انه يقع

المقاصة بين

المقاصة بين الحسنات والسيئات ثم تسقط الحسنات المقابلة للسيئات وينظر الى ما يفضل منها بعد المقاصة وهذا يوافق قول من قال
بان من رجحت حسناته على سيئاته بحسنة واحدة اثيب بتلك الحسنة خاصة وتسقط باقي حسناته في مقابلة سيئاته خلافا لمن قال يثاب
بالجميع وتسقط سيئاته كانها لم تكن وهذا في الكبائر اما الصغائر فانه قد تمحى بالاعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فاثبت لهذه الاعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و
يميت وهو على كل شيء قدير مائة مرة كتب الله له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر رقاب فهذا يدل على ان الذكر
يمحو السيئات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيئات التائب توبة نصوحا تكفر عنه ويبقى له حسناته كما قال الله عز وجل
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي
اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
وقال عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون فلما وصف هؤلاء بالتقوى والاحسان دل على انهم ليسوا مصرين على الذنوب بل هم تائبون منها وقوله ليكفر الله عنهم اسوأ
الذي عملوا يدخل فيه الكبائر لانها اسوأ الاعمال وقال ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا فرتب على التقوى المتضمنة لفعل الواجبات
وترك المحرمات تكفير السيئات وتعظيم الاجر واخبر الله عز وجل عن المؤمنين المتفكرين في خلق السموات والارض انهم قالوا ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا واخبر انه استجاب لهم ذلك وانه كفر عنهم سيئاتهم
وادخلهم الجنات وقوله فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا خص الذنوب بالمغفرة والذنوب بالتكفير فقد قيل السيئات تختص الصغائر
والذنوب يراد بها الكبائر فالسيئات تكفر لان الله تعالى جعل لها كفارات في الدنيا شرعية وقدرية والذنوب تحتاج الى مغفرة تقي
صاحبها من شرها والمغفرة والتكفير متقاربان فان المغفرة قد قيل انها ستر الذنوب وقيل وقاية شر الذنب مع ستره ولهذا ما ستر
الرأس ووقاه في الحرب مغفرا ولا يسمى كل ساتر للرأس مغفرا وقد اخبر الله عز وجل عن الملائكة انهم يدعون للمؤمنين التائبين بالمغفرة
ووقاية السيئات والتكفير من هذا الجنس لان اصل الكفر الستر والتغطية ايضا وقد فرق بعض المتأخرين بينهما بان الكفر محو اثر الذنب
حتى كانه لم يكن والمغفرة تتضمن مع ذلك افضال الله على العبد واكرامه وفي هذا نظر وقد يفسر بان مغفرة الذنوب بالاعمال الصالحة تقبل الحسنات
وتكفيرها بالمكفرات محوها وفيه ايضا نظر فانه قد صح ان الذنوب المعاقب عليها بدخول النار تبدل حسنات فالمكفرة بعمل صالح تكون كفارة
لها اولى ويحتمل معنيين اخرين احدهما ان المغفرة لا تحصل الا مع عدم العقوبة والمؤاخذة لانها وقاية شر الذنب بالكلية والتكفير
قد يقع بعد العقوبة فالمصائب الدنيوية كلها مكفرات للخطايا وهي عقوبات وكذلك العفو يقع مع العقوبة وبدونها وكذلك الرحمة
والثاني ان المكفرات من الاعمال ما جعلها الله لمحو الذنوب المكفرة بها ويكون ذلك ثوابها وليس لها ثواب غيره والغالب عليها
ان تكون من جنس مخالفة هوى النفوس وتجشم المشقة فيه كاجتناب الكبائر الذي جعله الله كفارة للصغائر واما الاعمال
التي تغفر بها الذنوب فهي ما عدا ذلك ويجتمع فيها المغفرة والثواب عليها كالذكر الذي يكتب به الحسنات ويمحى به السيئات وعلى هذا
الوجه فيفرق بين الكفارات وغيرها واما تكفير الذنوب ومغفرتها اذا اضيف ذلك الى الله فلا فرق بينهما وعلى الوجه الاول يكون بينهما
فرق ايضا ويشهد لهذا الوجه الثاني امران احدهما قول ابن عمر لما اعتق العبد الذي ضربه ليس لي في عتقه من الاجر شيء واستدل بانه
كفارة والثاني ان المصائب الدنيوية كلها كفارات للذنوب وقد قال كثير من الصحابة وغيرهم من السلف انه لا ثواب فيها مع التكفير
وان كان بعضهم قد خالف في ذلك ولا يقال فقد سمى الكفارات في حديث المنام باسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الاقدام الى
الصلاة وقال من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وهذه كلها مع تكفيرها للسيئات ترفع الدرجات
ويحصل عليها الثواب لانا نقول قد يجتمع في العمل الواحد شيئان يرفع باحدهما الدرجات ويكفر بالاخر السيئات فالوضوء
من نفسه يثاب عليه لكن اسباغه في شدة البرد من جنس الآلام التي تحصل للنفوس في الدنيا فيكون كفارة في هذه الحال فتكفر به الخطايا